مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

استدامة المياه : دراسة تأصيلية

جهاد عمران البشير*

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على التأصيل الفقهي والقيم التي تحقق استدامة المحافظة على المياه والمفاهيم المتعلقة باستدامة المياه واستعراض دور الشرع في تحقيق ذلك. نهج البحث المنهج الاستقرائي التحليلي في جمع المسائل وتحقيق الأهداف. وبيان أن الشرع دل على أن الماء نعمة وثروة وهو سبيل لتحصيل الأجر سواءً كان في الطهارة أو حفظ الحياة. وتعددت النماذج التربوية في السنة النبوية الشريفة التي تهدي الي الحفاظ على الماء والدعوة المتكررة من خلال القدوة والتوجيه النبوي للحفاظ على الماء وترشيد استهلاكه. وأن التأصيل الشرعي يقتضي دعوة المجتهدين لتوسيع المعايير الثلاثة لصلاحية الماء للطهارة لتشمل مقصود حفظ النفس وذلك من مستجدات الملوثات الصناعية والتكنولوجية والتي لا تؤثرعلي لون الماء أو طعمه او رائحته فقط .

ABSTRACT

The objectives of this study were to review and establish the juristic aspects of sustainability of water and the role of religion to accomplish that. The research used inductive and analytical methods to achieve the objectives. It is found that Quran has established that water to be the most gifted and precious item to earn reward in purification and self- preservation. The Profit's deeds emphasized the goals of water conservations. Shariah foundation invites scholars to revisit the properties of water required for purification, so that it exclude polluted water from being suitable, even if it is colorless, tasteless and odorless.

Keywords:Jurisprudence, Sustainability, Water .

الكلمات المفتاحية:

التأصيل الفقهي – الاستدامة – الماء.

*قسم الدراسات الاسلامية، كلية الآداب، جامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل، ص ب 1982- الدمام - 31441

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ،ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمداً عبده ورسوله. يقول المولى عز وجل في كتابه الكريم ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[1] أي أن الماء هو أول المخلوقات خلقاً وتشريفاً بحمل عرش الرحمن ومورداً أساسياً للحياة والتنمية المستدامة، كما أن الحصول عليه يرتبط ارتباطاً كبيراً بالحياة. ولهذه الأهمية تتطلب الادارة المستدامة لموارد المياه سرعة مواجهة كل من النمو السكاني والتنمية الاقتصادية. إن المحافظة على المياه والاقتصاد في استعمالها ضمان لدوام الاستفادة منها حيث يعتبر الماء مركزياً في الحياة ضمن النظام البيئي العام وعلى كونه المجال المشترك بين جميع الكائنات، كما في قوله تعالي ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[2] أي فهو الواهب للحياة وكذلك هو المحافظ عليها وهذا هو التشريف الثاني له . كما نجد في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[3] الأرض الموات القاحلة التي لا حياة فيها وهذا هو التشريف الثالث له فرحة الأرض بنزولها كما وصفها المولى عز وجل في قوله بعد أن كانت غبراء متهشمة يابسة أصبحت متحركة منتفخة بالنبات ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]

أ- **مشكلة البحث:** ظهور مفهوم الاستدامة كمفهوم عام انعكس على كثير من النواحي الإجتماعيةوالإقتصادية والسكانية والبيئية ولكنها لم ترتبط بما يحققه الدين في استدامة الأشياء خاصة المياه. ومن هنا جاء هذا البحث ليحقق استخدام الدين الحنيف لتحقيق استدامة المحافظة على المياه.

ب- **أسباب الاختيار:** مكانة الماء في الشرع هي المصدر الأساسي للحياة كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

ج-**أهمية البحث :** معرفة كيفية المحافظة على استدامة المياه في الشرع .

د- أهداف البحث :

1- التعرف على القيم التي تحقق استدامة المحافظة على المياه إقتداءً بالسنة النبوية .

2- إستعراض المفاهيم المتعلقة باستدامة المياه ودور الشرع في إظهار مكانتها في الإستهلاك العام وطهوريتها.

هـ- منهج البحث: المنهج المتبع في البحث هو: تطبيق المنهج الاستقرائي والتحليلي(الإستنباطي) حيث تم دراسة المصطلحات والتعاريف العامة لمفهوم الاستدامة وأحكامها بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في كتاب اللهوتخريج الأحاديث من مصادرها وتحرير المسائل الفقهية وشرحها وتوثيق المنقول والنصوص المقتبسة ونسبتها إلي أصحابها وبيان المفردات والمصطلحات من المعاجم العربية .

و- تم تقسيم خطة البحث إلي: مقدمة ومبحثان وخاتمة وتوصياتمع المراجع والمصادر.

المبحث الأول: حقيقة الاستدامة

المطلب الأول: تعريف الاستدامة لغة وإصطلاحاً والتعريف العام.

([1]) سورة هود: الآية 7

([2]) سورة الأنبياء:الآية 30

([3]) سورة النحل: الآية 65

([4]) سورة فصلت: الاية39

1- **تعريف الاستدامة لغة:** التأني في الأمر أو طلب دوامه[5].

تعريف الاستدامة اصطلاحاً: وهو التأني في الأمر وعدم التعجل فيه،إذ تعتبر استدامة النية شرطا لصحة العبادات كالصلاة، وألا يأتي المكلف بنية تخالف النية في أول العمل[6].

التعريف العام للاستدامة :هي مصطلح بيئي يصف كيف تبقي النظم الحيوية متنوعة ومنتجة مع مرور الوقت.

والاستدامة بالنسبة للبشر: هي القدرة على حفظ نوعية الحياة التي يعيشها على مدي طويل ، وهذا يعتمد على حفظ العالم الطبيعي والاستخدام المسؤول للموارد الطبيعية.

وتعرف الاستدامة على إنها الاستغلال الأمثل للموارد والامكانيات المادية والطبيعية والإنسانية بشكل متوازن ومناسب بحيث يتم الاستفادة الي ما شاء الله من جميع الموارد الطبيعية الموجودة لأنها ليست ملكاً لنا ولكنها ملكاً لكافة الأجيال وأمانة في أعناقنا للأجيال القادمة مع ضمان استمرارية الحياة بشكل فعال بدون إسراف أو إهدار للموارد المكتسبة[7].

التعريف الأكثر شيوعاً للاستدامة: عرفته مفوضية الأمم المتحدة للبيئة والتنمية بأنه الاستدامة التي تفي باحتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة.

تعتمد مفاهيم الاستدامة على ثلاثة أبعاد تعتبر هي الدعائم أو المعايير الرئيسية لها هي :

البيئة والمجتمع والاقتصاد وتعرف بالأبعاد المحورية للاستدامة[8] ولا بد من ارتباط هذه المحاور وتكاملها نظراً للارتباط الوثيق بين البيئة والاقتصاد والأمن الاجتماعي، ورفع مستوي الحياة الاجتماعية بما يتناسب مع الحفاظ على المكونات الأساسية الطبيعية للحياة ، والتي تعتبر من العمليات طويلة الأمد.

ب- الاستدامة في الإسلام :

إن الدين الإسلامي في الأساس هو منبع الاحتياجات الروحية والمعنوية للإنسان بحيث تتوازن الماديات والمعنويات لأنه ينظم الاحتياجات المعيشية للمجتمع ويوازينها وذلك بين القيم الاجتماعية والحياة الطبيعية. ويعتبر المنهج الإسلامي من المناهج الواضحة والكاملة التي تعرض الصورة الكاملة من عدة جوانب. فنظرة الإسلام للبيئة ومكوناتها ومن ضمنها الماء توازي نظرته لجميع الأمور المختلفة في جوانب الحياة وهي نظرة متكاملة من خلال منهج قويم لقوله تعالي ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[9]. ونظراً لوحدة المنبع الإسلامي والأساس الفكري والتشريعي للحضارة الإسلامية، فهي متسقة مع النمط المعيشي في كل منطقة وإن اختلفت العادات والتقاليد. وقد وردت العديد من الآيات والأحاديث في عدم اهدار الموارد الطبيعية. كما في قوله تعالي ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[10]، وقال تعالي ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[11]. والعلاقة مع الطبيعة وما فيها من موارد نعمة تستوجب الشكر، وشكرها الانتفاع بها من دون تبذير أو اسراف والاستهلاك منها بوسطية واعتدال لعدم الاخلال بالمنظومة البيئية والتوازن المحكم

([5]) الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (1407) القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ج2، ص140.

([6]) الشرخسي ، شمس الدين أبوبكر محمد بن أحمد (1395) المبسوط ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص 19

([7]) مفوضية الامم المتحدة للبيئة والتنمية تقرير (1987م) مستقبلنا المشترك .

([8]) المؤتمر العلمي الأول للإستدامة (2004 م).

([9]) سورة الأنعام ،الآية 38

([10]) سورة الأعراف ، الآية 34

([11]) سورة الأعراف ، الآية 31

الذي جعله الله سبحانه وتعالي من أهم العوامل لسير الحياة الطبيعية في قوله تعالي ﴿وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[12].

والجدير بالذكر إن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام أكثر شمولاً والتزاماً من المفهوم المناظر الذي تم تبنيه في أجندة القرن الحادي والعشرين عن قمة ريو[13].

تعريف الاستدامة في المنظور الإسلامي:

هي توفير متطلبات البشرية حالياً ومستقبلاً، روحية كانت أم مادية. وفي ذلك حق للإنسان في كل زمان ومكان أن يكون له نصيب من التنمية الخُلقية والثقافية والاجتماعية. ولا تجعل الإنسان نداً للطبيعة ولا متسلطاً عليها، بل تجعله أميناً عليها محسناً لها رفيقاً عليها وبعناصرها بدون اسراف ولا افراط، كما في قوله تعالي ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[14].

وكذلك نجد أن السنة النبوية جعلت الإحسان مدعاة لاكتساب الثواب. قال صلي الله عليه وسلم (إماطة الأذى عن الطريق صدقة)[15]. والإحسان الي البيئة هو التعامل معها برفق واحسان، فيأخذ منها ويعطيها ويرعى لها حقها لتؤتي له حقه، قال صلي الله عليه وسلم (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)[16] ، والإحسان يعني الإحكام والإتقان والرفق والإشفاق.

لقد أصدر البنك الدولي تقريراً[17] بعنوان " تحقيق استدامة المياه للجميع في ظل مناخ متغير" يشير التقرير الي أن جميع دول العالم وخاصة الدول النامية تحديات عديدة تتعلق بالقرارات الخاصة بإدارة الموارد المائية من أهمها عدم تواجد القاعدة المعلوماتية التي يمكن الاعتماد عليها حول توفير المياه وكميتها المستهلكة ومدي تأثير تلك القرارات على مستقبل الموارد المائية وتوحيد الجهود الخاصة بإدارة موارده.

أن الاضطرابات المناخية التي شهدتمع تتابع الجفاف والفيضانات كنتيجة للتغيرات المناخية يتطلب اعتماد نهج متكامل لإدارة الموارد المائية يشمل ثقافة عدم الاسراف وعدم الافساد في أدارة الموارد المائية

المطلب الثاني: القواعد الفقهية المتعلقة بالتنمية المستدامة في أهمية الماء :

وهنالك ثمة قواعد فقهية عامة استنبطها علماء المسلمين وهي قواعد سبقت التشريعات البيئية المعاصرة وتفوقت عليها ويجب تفعيلها في دفع الضرر بكل صوره وألوانه .وفي ذلك الضرر الذي يحيط بالبيئة خاصة في جانب المياه من جراء تصرفات الانسان وسلوكياته غير الحميدة ، ومن أبرز القواعد الفقهية قاعدة " لا ضرر ولا ضرار"[18] وهي تحمل جميع الاضرار العامة والخاصة وتعني أن لكل فرد مطلق الحرية في أن يتصرف فيما يملك اذا انعدم الضرر، فإذا حدث ضرر للغير فلولي الأمر الحق في التدخل واتخاذ ما يلزم دون وقوع الضرر الذي قد يلحق ببعض مكونات البيئة ومن بينها المياه. هذا الضرر لسد الذرائع المؤدية الي المفاسد.

إن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف، وكذلك الضرر الخاص يتحمله على حساب الضرر العام ومنها القاعدة الشرعية (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) المشتقة من قوله صلي الله عليه وسلم (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما هلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم)[19]. فإن استغلال موارد البيئة لتحقيق منفعة ذاتية مؤقتة سوف

([12]) سورة البقرة ، الآية143

([13]) قمة ريو: قمة الأرض ، تقرير (1992 م)

([14]) سورة الأعراف ، الآية 57

([15]) البخاري ،محمد بن إسماعيل (1423هـ- 2002 م) صحيح البخاري ،دار بن كثير ، بيروت ، الحديث 2827 ، ص423 .

([16]) النيسابوري ، مسلم بن الحجاج (1407هـ - 1987م) المكتب الإسلامي ، الحديث 57 الجزء 7،ص 94

([17]) المؤتمر السنوي لمنتدى بيروت تقرير (10-2016/11/11م) البنك الدولي .

([18]) محمد صدقي بن أحمد البرونو(1424هـ) موسوعة القواعد الفقهية، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

([19]) القزويني ، محمد بن يزيد بن ماجة (1412هـ) سنن ابن ماجة، دار إحياء الكتب العربية ، دمشق ، سوريا .الحديث 224992،الجزء2، ص 748.

يتسبب في اضرار تهدد الموارد وافسادها، ويتسبب في استنزافها فلا يسمح بها إذأن دفع الضرر والمفاسد يجب ان يقدم على أي منفعة عند استغلال البيئة.

المطلب الثالث: مصادر المياه وأهميتها في الحياة :

إن الآيات التي وردت فيها ذكر الماء وردت في سياق لفت الانتباه والتركيز والمحافظة على نعم الله وكذلك من أجل تذكير عباده من الاستفادة من هذه النعمة والمدعاة لشكره .

ينتشر الماء في الأرض بحالاته المختلفة الثلاثة، السائلة والصلبة والغازية وهو يعيد تكرر نفسه عن طريق دورته المتواصلة في الطبيعة بتحوله الي بخار ثم الي غيوم ثم الي ماء متساقط على سطح الأرض . وصفات الماء الطبيعية التي ينفرد بها دون غيره من عناصر الطبيعة هي أنه شفاف ثقيل الوزن بلا لون ولا طعم ولا رائحة. ويتجمد عند درجة حرارة الصفر المئوي فيتحول الي الحالة الصلبة. وتغطي المياه حوالي 71% من سطح الأرض ، وتمثل مياه المحيطات والبحار نسبة 96% والبحيرات 0,013% والانهار 0,0002% والباقي مياه جوفية في باطن الأرض .وتمثل المياه المالحة 97,5% والباقيعذب.لذلك نجد تتنوع مصادر المياه منها :

المياه الجوفية: تنجلي نعمة الله على عباده في كمية المياه الوفيرة المختزنة تحت سطح الأرض ،في قوله تعالي ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا على ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [20]. وقوله تعالي ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [21]

مياه النهار: في قوله تعالي ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾[22] وقوله تعالي ﴿وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾[23]

مياه البحار: كما ذكر في الآية في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[24]

ماء السماء: ورد في الآيتين في قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (*)أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [25] وقوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾[26]

وبذلك يعتبر الماء هو العنصر الحيوي الذي لا استغناء عنه وأهميته تشمل كل ركن من أركان هذ العالم وكل نواحي الحياة منها مجالات المياه :

1. جسم الانسان: يشكل الماء أكثر من 70% من جسم الانسان وهو يلعب دوراً كبيراً في جميع العمليات الحيوية، وهو المذيب للجلكوز مصدر الطاقة والأحماض الأمينية المطلوبة لبناء الجسم والأملاح والفيتامينات. كما له أيضاً دوراً كبيراً في هضم وامتصاص الغذاء وهو الوسيط للتخلص من السموم والفضلات. ويعتمد عليه النظام الحراري في الجسم .
2. استخدام الماء كوسيلة لديمومة الحياة: يستخدم الماء من أجل الاغتسال والتنظيف والتطهر من الأوساخ والنجاسات. كذلك يساهم في الاستخدامات المنزلية والزراعية والصناعية.
3. مكانته في الحياة الدينية للشعوب: له مكانة متميزة في الحياة الروحية للشعوب المختلفة، وفي الفكر الديني للإنسان هو القاسم المادي المشترك بينالأديان .فمعظم الأديان رجحت أصل الحياة وبداية الخلق الي الماء الذي ارتبط في ذات الوقت بالنماء والخصوبة والازدهار. ويعتبر في العديد من الديانات مادة التطهر الأولى فبواسطته يتم الاغتسال وتنظيف الجسد قبل

([20]) سورة المؤمنون ،لآية 16

([21]) سورة الزمر الآية 21

([22]) سورة السجدة، الآية 27

([23]) سورة الرعد ، الآية 3

([24]) سورة الفرقان، الآية 53

([25]) سورة الواقعة ، الآية 68- 69

([26]) سورة إبراهيم ، الآية 32

ممارسة الطقوس الدينية وأداء الفرائض. وقد قدس القدماء الأنهار وحرصوا على التجمع حولها في المناسبات من أجل اكتساب النقاء الجسدي والصفاء الروحي .

4. أهمية الماء للمسلم:بالإضافة الي ما تقدم من أهمية للماء، فقد جعله الله وسيلة وسبباً للقيام ببعض ما فرض على عباده. فهو يحقق الطهارة التي هي في اللغة النظافة . وفي الاصطلاح عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة، كما في قوله تعالي ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [27] والمراد بالطهور ما يتطهر به. وللفقهاء آراء مختلفة نجدها مفصلة في أبواب الطهارة حيث تعرضوا إلى حكم استعمال الماء الآجن وهو الماء الذي تغير بطول مكثه في المكان من غير مخالطة شيء والماء المستعمل والماء المسخن أما بتأثير الشمس أو بتأثير غيرها والماء المختلط بطاهر وماء البحر والماء المختلط بأوراق الشجر أو ما تحمله الرياح والماء المتغير بمجاورة طاهر كالدهن والعود والكافور ، وكذلك حكم الماء المختلط بنجس وحكم الفقهاء بدليل من السنة النبوية في حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم (أن الماء لا ينجسه شيء الا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه)[28] لقد جعل الله الماء سبيلا لتحقيق الطهارة حيث لا تصح بعض العبادات إلا بها كالصلاة والطواف بالكعبة المشرفة، في قوله تعالي ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[29]. والطهارة نوعان طهارة صغري وهي الوضوء وطهارة كبري وهي الغسل، وهو نوعان غسل واجب من جنابة أو حيض أو نفاس وغسل مستحب ومندوب كالغسل لصلاة الجمعة أو العيدين أو الاحرام.

5. الماء سبيل لتحصيل الأجر والثواب: الماء نعمة وثروة وهو سبيل لتحصيل الأجر والثواب سواء كان ذلك في شكر النعم أو في الطهارة أو في الحفاظ على الحياة وجعلها طيبة . وقد عد حفر بئر أو اتخاذ الماجن لري العطش من الصدقة الجارية. كما أن الله تبارك وتعالي أعطي أجر الصائم لمن فطر صائما على جرعة ماء، وأخبرنا صلي الله عليه وسلم بأن هنالك من استحق دخول الجنة لسقيه كلباً.في رواية عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ :بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطشُ، فَوجد بِئراً فَنزَلَ فِيهَا فَشَربَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكه بِفِيهِ، حتَّى رقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَه فَغَفَرَ لَه.[30]

6. لتذكير بنعم الله واقامة الحجج : الماء وما يتصل به من مطر وسحاب وأنهارورد في سياق التذكير بنعم الله واقامة الحجج والبراهين على قدرة الله ووحدانيته، في قوله تعالي ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ﴾ [31] وقال تعالي ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ[32]. وقد جعل الله الماء معجزة للأنبياء يقيم بها الله الحجة على صدق انبيائه فيما يبلغون عنه ، من ذلك تفجر ماء زمزم عند رجلي نبي الله اسماعيل وهو وأمه يكادان يهلكان من العطش، ونبع من أصابع رسول الله صلي الله عليه وسلم في حديث أنس رأيت

([27]) سورة الفرقان ، 48

([28]) الفزويني ، سنن ابن ماجة ، أخرجه بن ماجة ،كتاب الطهارة ، (باب مقدار الماء الذي لا ينجس) الحديث 517

([29]) سورة المائدة: ، الآية 6

([30]) أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب المساقاة (باب فضل سقي الماء) الحديث 2363 .

([31]) سورة النور ، الآية 43

([32]) سورة الكهف ، الآية 4- 45

رسول الله وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلي الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله في ذلك الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتي توضؤوا من عند آخرهم) وهي معجزة حسية كان لها الأثر الكبير في تثبيت إيمان المؤمنين.

المبحث الثاني: دلالة الأحكام الشرعية في المحافظة على المياه :

المطلب الأول: ترشيد الاستعمال البشري للمياه:

لقد حث الإسلام الأفراد على الاعتدال في شؤون الحياة كافة فلا افراط ولا تفريط ولا اسراف ولا تقتير. وقد جعل الله عز وجل قضية الترشيد في الإنفاق والاستهلاك من صفات المؤمنين في قوله تعالي ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[33]. والإسراف في استنزاف الموارد واستهلاكها يمثل نوعا من الأنانية المذمومة إذ أنه يؤدي الي حرمان الآخرين من هذه الموارد. علاوة على ذلك فإن الاسراف اهدار لنعم الله عز وجل ومضيعة لها. وعلى النقيض فان الترشيد والاعتدال يعنيان المحافظة على هذه النعم والعمل على استدامتها. ودعا الإسلام إلي المحافظة على التوازن البيئي، في قوله تعالي ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[34]. ولتحقيق مقصد المحافظة على التوازن البيئي دعت الشريعة الاسلامية الي نبذ الإسراف بشتي صوره بمعني أن تستغل النظم البيئية استغلالاًعملياً رشيداً مستداماً وفقاً لمنهج الوسطية فلا افراط ولا تفريط. قال صلي الله عليه وسلم هديه صلي الله عليه وسلم إنه كان يقتصد في الماءكما في رواية عن أنس رضي الله عنه (كان النبي ﷺ يغسل، أو كان يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمد)[35] المد هو بضم الميم وتشديد الدال مليء كفي الإنسان المعتدل وهو ربع الصاع بإتفاق الفقهاء وهو الرطل وثلث الرطل ، والصاع يسع خمسة أرطال وثلث الرطل عند الشافعية والحنابلة والمالكية وهو الراجح عند العلماء خلاف بعض الحنفية . والمد وهو يعادل باللترات حوالي (500) لتر من الماء تقريباً (قارورة مياه الصحة عبوة 500 لتر من الماء) .تقريباً .

الإسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية وعن عائشة (رضي الله عنها) أنها (كانت تغتسل هي والنبي ﷺ من إناء واحد يسع ثلاثة أمداد، أو قريباً من ذلك)[36]. من ذلك زرع السلوكيات الايجابية المسؤولة لدي الافراد تجاه حماية الموارد وصيانتها نجد أن السنة النبوية جعلت كل فرد في الأمة مسؤولاً عن رعيته. وهذا يعني أن يكون قدوة لغيره في أعماله. قال صلي الله عليه وسلم (كلكم راع ومسؤول عن رعيته)[37]. وربما يكون الإنسان في عصوره الحديثة أكثر احتياجاً لهذا الهدي النبوي الكريم الذي ينهى عن الإسراف في استخدام الماء والنزوع إلى تعميم سلوكيات التربية الرشيدة وتعميق هذه الناحية التربوية لدى الأجيال نظراً لما تتسم به حياتنا العصرية من إسراف شديد واستهلاك كميات ذات أرقام فلكية من الماء النظيف وإهدارها إهداراً.

المطلب الثاني : تلوث المياه:

التلوث يعمل على تغيير الصفات الطبيعية للماء بسبب وجود المواد الغريبة التي تسبب تعكيره وتكسبه رائحة أو لونا أو رائحة مخالفة لصفاته المعروفة تجعله غير صالح للشرب أو الاستخدامات الحياتية الأخرى. وهذه المواد إما ذائبة أو عالقة عضوية وغير عضوية أو

([33]) سورة الفرقان ، الآية 67

([34]) سورة الحجر ، الآية 19

([35]) أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الوضوء (باب الوضوء بالمد) الحديث 201 .

([36]) أخرجه مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الحيض (باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة) الحديث 321- 256

([37]) أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ، الحديث 2409 ص(36) البخاري ، صحيح البخاري ، الحديث 2409 ص 312.

مجهرية كالجراثيم ، وربما أصبح مصدراًللأمراض المختلفة ، لذلك ينهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن قضاء الحاجة في المياه في حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل)[38] ، و عن جابر (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه (نهى أن يُبال في الماء الراكد) [39] ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه) [40]. ويقدر المختصون حوالي 80% من الأمراض في العالم مصدرها تلوث المياه.

أنواع التلوث:

1. **تلوث طبيعي:** ويحصل عن طريق الملوثات الطبيعية كالشوائب المختلفة والأتربة الأملاح والطحالب والمواد العالقة وتصل مستوي الخطر ومن علاماته ان المياه تفقد شفافيتها وتكتسب ألوانا غير لونها، وتكتسب رائحة غير طيبة ، وتقل فيها كمية الاوكسجين.
2. **التلوث الكيميائي:** وهو اختلاط الماء بالمواد الكيميائية الطبيعية أو الصناعية أو المواد السامة القادمة الي الأنهار عن طريق الصرف الصحي وهي حاملة الأوساخ ومياه التنظيف والحيوانات النافقة والزيوت والمبيدات الحشرية ومخلفات المصانع كالأصباغ والأكاسيد ومخلفات الرصاص والزئبق، وهو أكثر خطورة من التلوث الطبيعي.

نلاحظ أن الاجتهاد الفقهي الحديث والمعاصر لم يخرج حتي اليوم عن المعايير الثلاثة لصلاحية الماء للطهارة والاستعمال الآدمي وهي لونه أو طعمه أو رائحته دون إعمال جدوى لمقصود حفظ النفس ومقتضياته في ظل زيادة مخاطر المياه على الصحة العامة. إن مستجدات الواقع وما أنتجه التقدم الصناعي والتكنلوجي من ملوثات هائلة كالإشعاع النووي والتلوث الكيميائي والبكتيري لا يغير لون أو طعم أو رائحة الماء، وقد يتسبب في اصابة الإنسان بالعديد من الأمراض الفتاكة التي تؤدي بحياته أو تتركه عليلاً لفترة طويلة. هذه الملوثات تخرج كميات كبيرة جداً من دائرة الاستخدام الآدمي لذلك تدخل تحت دائرة القاعدة الفقهية (الضرر يزال).

المطلب الثالث:إقرار الإسلام الماء ملكاً عاماً :

نسبة لارتباط الماء بحق الحياة وحفظ النفس جعلت الشريعة ملكية الماء ملكاً عامة وقررت حق الحصول عليه مجاناً وكذلك حقوق الانتفاع به لكل المستفيدين دون تمييز، فعن إِيَاسِ بْنِ عَبْدٍ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: "نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْمَاءِ") [41]، وفي حديث آخر عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: "نهى رسول الله ﷺ عن بيع فضل الماء"[42]. وحرمت الشريعة أيضا احتكار الماء ونهت عن افساده. يقول صلي الله عليه وسلم (المسلمون شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار) [43]، والمقصود أن هذه الأمور الثلاثة لا تملك ولا يصح بيعها مطلقاًوقد حدد العلماء الماء بأنه ماء السماء والعيون والأنهار، أما اذا أحرز الانسان الماء وحاز عليهأصبح ملكاً له وحينئذ يجوز بيعه ، فقد ثبت أن النبي صلي الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها بئر تسمي رُومة يملكها يهودي ويبيع الماء منها للناس فأقره على بيعه ، واشتراها عثمان بن عفان وأوقفها على المسلمين فأصبح الماء مجانا ، وهو الأصل في الشرع

([38]) السجستاني ، سليمان بن الأشعث الأزدي (1430هـ-2009م) سنن أبي داود ، دار الرسالة ، القاهرة ، كتاب الطهارة (باب المواضيع التي نهى ﷺ عن البول فيها) الحديث 26، 7/1.

([39]) أخرجه مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الطهارة (باب النعي عن البول في الماء الراكد) الحديث 281 ، 235/1

([40]) أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الوضوء (باب البول في الماء الدائم) الحديث 239 ، 57/1 .

([41]) أخرجه مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب المساقاة (باب النهي عن بيع الماء) الحديث 1565، ص 176.

([42]) أخرجه مسلم حديث النهي عن بيع الماء، مرجع سابق.

([43]) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع (بابفي منع الماء،) الحديث 3477، 178/3 اللفظ له ، مرجع سابق .

الإسلامي ويتفق مع هدي رسول الله صلي الله عليه وسلم في هذا الشأن الحيوي.

تتواصل الفوارق الجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية الحادة، ليس بين المناطق الريفية والحضرية فحسب وإنما أيضا في المدن والقرى والتي يتعذر على من يعيشون فيها في أماكن غير رسمية أو غير قانونية منخفضة الدخل الوصول إلى مصادر محسنة لمياه الشرب مقارنة بالمواطن الآخرى.

ولقد عجزت البلدان الأقل نمواً البالغ عددها 48 بلداً عن تمكين مواطنيهم من الحصول على مياه الشرب المأمونة، حيث يحصل حالياً 42 في المائة من سكان هذه البلدان على مصادر مياه الشرب المحسنة منذ عام 1990م .

إن الهدف المندرج ضمن المرامي الإنمائية للألفية والمتعلق بإتاحة فرص الحصول على مياه الشرب النقية يقاس بمؤشر وصول الناس إلى مصادر مياه الشرب "المحسنة" أو "غير المحسنة". ولكن "محسنة" لا تعني بالضرورة آمنة. ما لايقل عن 1.8 مليار شخص يستخدمون مصادر لمياه الشرب ملوثة بالفضلات الأدمية. فنسبة كبيرة من إمدادات المياه من خلال الأنابيب تكون ملوثة، وخصوصا عندما تكون إمدادات المياه ليس بآلة جيدة أو غير معالجة بالشكل الكافي. وأحياناً عندما يكون المصدر جيداً، فقد تتلوث المياه أثناء نقلها أو تخزينها، خصوصاً في البيئة التي يكون الإصحاح فيها غير ملائم.

الخاتمة:

1. الماء على ما جاء ذكره الشرع يعتبر أثمن شيء خلقه الله بعد البشر وله صفة الواهب للحياة في قوله تعالي ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ وقوله تعالي ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ .
2. الماء نعمة وثروة وهو سبيل لتحصيل الأجر سواء كان في الطهارة أو حفظ الحياة.
3. لقد تعددت النماذج التربوية في السنة النبوية الشريفة التي تهدي الي الحفاظ على الماء والدعوة المتكررة من خلال القدوة والتوجيه النبوي للحفاظ على الماء وترشيد استهلاكه.
4. لا بد من الحفاظ على الماء من كل تلوث أو اسراف وقد أجاب رسول الله صلي الله عليه وسلم الصحابي الذي تساءل باستغراب أفي الوضوء اسراف فقال صلي الله عليه وسلم نعم ولو كان على نهر جار.
5. دعوة المجتهدين لتوسيع المعايير الثلاثة لصلاحية الماء الطهور لتشمل مقصود حفظ النفس وذلك من مستجدات الملوثات الصناعية والنووية والتي لا تؤثر علي لون الماء أو طعمه او رائحته.

التوصيات:

1- الرجوع إلى الأصول: الكتاب والسنة في المحافظة على الماء .
2- بث التربية والتوعية الدينية في المجتمع للمحافظة على قيمة الماء.
3- الاهتمام بمصادر التنمية المستدامة كأساسيات للحياة.
4- حماية المياه من الملوثات الصناعية والكيميائية بما ورد من الكتاب والسنة.
5- اتباع الهدي النبوي في المحافظة على المياه ومصادرها
6- الاهتمام بالدراسات التي تساعد في طرق ترشيد المياه في الأماكن العامة والخاصة .
7- وجوب المحافظة على الماء باعتبارها من أعظم النعم والثروات التي يحتاجها الإنسان
8- توسيع معايير تحديد المياه الطهور من قبل العلماء والمجتهدين .

المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم**

1. الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (1407) القاموس المحيط، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
2. الشرخسي ، شمس الدين أبوبكر محمد بن أحمد (1395) المبسوط ، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

3. مفوضية الأمم المتحدة للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، تقرير ، 1987م .
4. المؤتمر العلمي الأول ، للتنمية المستدامة (2004م) الامم المتحدة ، الجمعية العامة ، جنيف ، أكتوبر،.
5. مؤتمر قمة الأرض ، قمة ريو دي جانيرو ، يونيو – 1992م
6. البخاري ،محمد بن إسماعيل (2002م) صحيح البخاري، دار بن كثير ، بيروت .
7. النيسابوري ، مسلم بن الحجاج (1987م) صحيح مسلم، المكتب الإسلامي .
8. المؤتمر السنوي لمنتدى بيروت تقرير (10-2016/11/11م) البنك الدولي .
9. محمد صدقي بن أحمد البرونو(1424هـ) موسوعة القواعد الفقهية، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
10. القزويني ، محمد بن يزيد بن ماجة (1412هـ) سنن ابن ماجة، دار إحياء الكتب العربية ، دمشق ، سوريا.
11. السجستاني ، سليمان بن الأشعث الأزدي (2009م) سنن أبي داود ، دار الرسالة ، القاهرة .